

لا تزال تدعى «آن دو بروي»؟ إن السؤال يتبدى مجرداً من المعنى. إذ لا يمكن آتوس أن يعين هوية آن دو بروي، إلا أن تكون شبيهة بالتي تزوجها في شبابه. فهو لا يسعه أن يتصور عالماً تعاقبياً حيث يوجد متغير كامن عن ذاته لا يكون قد تزوج آن دو بروي، لأنه رهن بهذا الزواج، في تعريفه الحكائي. وقد يكون الأمر مختلفاً إن قال لنا دوماس إن آتوس يفكر قائلاً في سره «لكم كان مستحسناً، لو لم أكن تزوجتُ بهذه البائسة» (والحال أن دوماس يجعلنا ندرك أن آتوس لا يفكر إلا في هذا، وأنه، زيادة في الطين بلة، لا يني يعاقر الخمرة لينسى العالم الواقعي، وليحلم في عالم مختلف). بيد أنه لو كان آتوس تصرف على هذا النحو في الرواية، لكان عمداً إلى صياغة عالمه ونج بأن يرجع إلى عالم ون كما لو كان عالماً و. واقعياً، حيث لا تصح العلاقات ل - الضرورية: إنها حيلة تلجأ إليها الحكايات، على نحو ما تلجأ إلى عاملين مستثنيين. إننا نقبل أن تقدر شخصية على التفكير في حاثات على الفعل إزاء عالم الحكاية وذلك يمحض الاصطلاح الحكائي. إن هذا إلا شبيه بما يقوله لنا المؤلف: «إذ أظهار بالاضطلاح بعالمي الحكائي على أنه عالم حقيقي، أتخيل للحال شخصية من هذا العالم تتخيل عالماً مختلفاً تماماً».

ويسعدنا أن نورد ههنا ملاحظة أخرى، ترتدي أهمية بالنسبة لعالم الجمالية وللناقد الأدبي. إنه لمن الصحيح أننا نحكم، على جري عادتنا، على عالم حكاية انطلاقاً من عالمنا المرجعي بيد أننا نادراً ما نفعل العكس. ولكن ما الذي نعنيه من التأكيد مع أرسطو (صناعة الشعر، ١٤٥١ ب و ١٤٥٢ أ) بأن الشعر هو أكثر فلسفة من التاريخ طالما أن الأمور في الشعر تحدث ضرورة، في حين أنها تجري، في التاريخ، عرضياً؟ وماذا يعني الإقرار، لدى قراءة رواية، بأن ما يحدث فيها إنما هو أكثر حقيقة مما يجري في الحياة الواقعية؟ وماذا يعني القول بأن نابليون الذي جعل بيار بيزوشوف يعتبره هدفاً له إنما هو أكثر حقيقة ممن مات في جزيرة القديسة هيلانة، وأن طوابع عمل فني هي أكثر «نموجية» و «كلية» من مُمَثَلاتها الواقعية البدئية والمحملة؟ يبدو لنا أن مأساة آتوس، الذي لن يسعه على الإطلاق أن يبطل لقاءه مع ميلادي في أي عالم ممكن كان، إنما هي شاهد على حقيقة الفن وعظمته، فيما يجاوز كل استعارة، وذلك بقوة قوالب العوالم البنيوية (التي